تفسير إبن كثير

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ

قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (وقالوا قلوبنا غلف) أي : في أكنة .وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وقالوا قلوبنا غلف) أي : لا تفقه .وقال العوفي ، عن ابن عباس : (وقالوا قلوبنا غلف) [قال] هي القلوب المطبوع عليها .وقال مجاهد : (وقالوا قلوبنا غلف) عليها غشاوة .وقال عكرمة : عليها طابع . وقال أبو العالية : أي لا تفقه . وقال السدي : يقولون : عليها غلاف ، وهو الغطاء .وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : (وقالوا قلوبنا غلف) هو كقوله : (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه) [فصلت : 5] .وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، في قوله : (غلف) قال : يقول : قلبي في غلاف فلا يخلص إليه ما تقول ، قرأ (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه)وهذا هو الذي رجحه ابن جرير ، واستشهد مما روي من حديث عمرو بن مرة الجملي ، عن أبي البختري ، عن حذيفة ، قال : القلوب أربعة . فذكر منها : وقلب أغلف مغضوب عليه ، وذاك قلب الكافر .وقال ابن أبي حاتم :

حدثنا محمد بن عبد الرحمن العرزمي ، أنبأنا أبي ، عن جدي ، عن قتادة ، عن الحسن في قوله : (قلوبنا غلف) قال : لم تختن .هذا القول يرجع معناه إلى ما تقدم من عدم طهارة قلوبهم ، وأنها بعيدة من الخير .قول آخر :قال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : (وقالوا قلوبنا غلف) قال قالوا : قلوبنا مملوءة علما لا تحتاج إلى علم محمد ، ولا غيره .وقال عطية العوفي : (وقالوا قلوبنا غلف) أي : أوعية للعلم .وعلى هذا المعنى جاءت قراءة بعض الأنصار فيما حكاه ابن جرير : " وقالوا قلوبنا غلف " بضم اللام ، أي : جمع غلاف ، أي : أوعية ، بمعنى أنهم ادعوا أن قلوبهم مملوءة بعلم لا يحتاجون معه إلى علم آخر . كما كانوا يمنون بعلم التوراة . ولهذا قال تعالى : (بل لعنهم االله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون) ، أي : ليس الأمر كما ادعوا بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها ، كما قال في سورة النساء : (وقولهم قلوبنا غلف بل طبع االله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) [النساء : 155] . وقد اختلفوا في معنى قوله : (فقليلا ما يؤمنون) وقوله : (فلا يؤمنون إلا قليلا) ، فقال بعضهم : فقليل من يؤمن منهم [واختاره فخر الدين الرازي وحكاه عن قتادة والأصم وأبي مسلم الأصبهاني] وقيل : فقليل إيمانهم . بمعنى أنهم يؤمنون بما جاءهم به

موسى من أمر المعاد والثواب والعقاب ، ولكنه إيمان لا ينفعهم ، لأنه مغمور بما كفروا به من الذي جاءهم به محمد صلى االله عليه وسلم .وقال بعضهم : إنهم كانوا غير مؤمنين بشيء ، وإنما قال : (فقليلا ما يؤمنون) وهم بالجميع كافرون ، كما تقول العرب : قلما رأيت مثل هذا قط . تريد : ما رأيت مثل هذا قط . [وقال الكسائي : تقول العرب : من زنى بأرض قلما تنبت ، أي : لا تنبت شيئا] . .حكاه ابن جرير ، واالله أعلم .